

من سير أعلام الشهداء

٣٠

الإيـنُ البـار

[بَلَاءُ الْبَارِ]

ليس أصعبُ على المرء من أن يتليه الله بفقد ولده، وأصعبُ من ذلك أن يطلب منه الحديث عنه وإنصافه. وهذا هو حالي مع الحبيب الشهيد "عقيل".

الأبُ حينما يتكلم عن ابنه يقول: "جيد ومؤدّب وطيب"، وإلى غير ذلك من الألفاظ، وإذا طلبت منه شرح هذه الألفاظ سكت واسترجع: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون". ولكني سأستعين الله وأحاول الكلام. "عقيل"، مؤدّب، حنون، هذا هو باختصار هاني أو عقيل، من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من روائع جمال مصر، من "الفيوم"، حيث الماء والخضرة والنّيل والبساتين.

تربّى الشهيد في مدرسة الشيخ الأسير عمر عبد الرحمن، ونشأ على ظُلم طاغية مصر "الامبارك"، ولأنّ الرّجل لم يعرف غير المسجد طريقاً ولا غير القرآن أنيساً، هداه الله مبكراً لفكر الجهاد والاستشهاد، وعلى الرّغم من عناية والديه به عناية شديدة نظراً للتّبوغ الملحوظ عنده، فقد حصل على ما يؤهّله بسهولة لدخول كلية الهندسة قسم الحاسبات، إلا أن عقيل كان عقله مع الجهاد، وتردد على نوادي الإنترنت وأخذ يرسل معلوماته الشخصية إلى كل صديق يتعرف عليه عبر الشبكة العنكبوتية، طالباً من الجميع أن يجدوا له طريقاً إلى العراق، وذلك عقب السّقوط بشهرٍ واحدٍ فقط، حيث لم يكن هنالك أخبار عن الجهاد والاستشهاد لكي نقول إنّ دافع الحماس كان وراء الفتى، بل كان دافع الدّين والعقيدة والنّصرة والشّهادة، إلى أن اتصل برجل من أهل الجهاد وكلّم عقيل أن كُفّ عن إرسال بياناتك عبر الشبكة فهذا يا أخي يوصلك إلى أقرب سجن عندك، وإن شاء الله يجعل الله لك فرجاً. وبالفعل تم له ما دعا الله به واجتهد في رحلة طويلة مليئة بالمغامرات إلى أن دخل الحبيب إلى الموصل، وذلك بعد نحو شهرين من السّقوط، فكان من أقدم المهاجرين الأحباء، إن لم يكن ثالث أقدم مهاجر إلى أرض الرافدين، ومن أوّل من حمل السلاح من المهاجرين والأنصار.

انخرط الشهيد "رحمه الله" في مجموعة الأسد "أبو طلحة الموصلية"، وعرف العبوات مبكراً وفتح الله عليه الشيء الكثير، وظلّ حبّ الموصل وأهلها "وخاصة تلغفر" في قلب الشهيد إلى أن رزقه الله الشهادة، حيث كان دائماً يردد أن مجاهدي تلغفر أنصار بحق.

قَدِمَ الشهيد الى الفلوجة بعد أحداث الفلوجة الأولى، وعمل مع مجموعة من إخوانه على تشكيل القسم الإعلامي لجماعة التوحيد والجهاد آنذاك، وقد ساهم مساهمة طيبة في الأصدار الأول لجماعة التوحيد والجهاد (رياح النصر)، ثم صار مقرباً جداً من شيخ التوحيد أبي مصعب الزرقاوي " رحمه الله "، حتى كان بالنسبة له كالولد، وكان الشيخ يحبه حباً جماً ويعامله كما يعامل أبناءه تماماً، ويهتمّ بأموره دقّها وجلّها، حتى أنه قال لي يوماً أريد أن أزوج عقيل فأخشى أن يموت وليس له ولد، فأسأل الله ألا يحرمي منه، وبالفعل تم اختيار المرأة التي نحسبها صالحة له، إلا أن زواجه تأخر بعض الشيء لظروف العمل وصُغُر الزّوجة حتى تمّ له ذلك.

بقي الشهيد الحبيب في الفلوجة إلى أن جاءت معارك الفلوجة الثانية، حيث حط معها البلاءُ حطّاً على عقيل ومن معه، حتى أنهم آووا إلى بيت فإذا بالقناصة تصعد على سطح المنزل، وإذا بأعداء الله يتخذونه مقراً لهم وقد علموا هذا من خلال أخٍ معهم كان يجيد الإنجليزية ويترجم لهم كل ما يقولون، فأصابهم ضيق شديد واستمر الحال إلى أن بلغ بهم العطش كل مبلغ واجتهدوا في الدعاء، فصرف الله عنهم أعداء الله وتحولوا من هذا البيت إلى آخر، وخرجوا يبحثون عن الماء من منزل إلى آخر حتى رزقهم الله به بعد شدة شديدة وقحطٍ أسألُ الله أن يكتبه لهم في ميزان حسناتهم.

واستمرت محنة الفلوجة الثانية بهم حتى خرج هو وزميله ورفيقه في القسم الإعلامي إلى الشهادة (عبدالإله، وسأعود إليه إن شاء الله)، خرجوا إلى القائم وهناك بدءوا مرة أخرى في إنشاء القسم الإعلامي لقناعتهم بأهمية هذا الجانب وعلمهم أنه ليس غيرهم يقوم مقامهم، فقد كان عقيل لا يحب هذا العمل ويتكلم ويلح باستمرار طالباً عملية استشهادية، حتى بعدما عقدَ عقدَ زواجه كان يُلحّ على هذا المطلب، ولقد كلمته في أوّل أسبوع لزواجه ما رأيك تذهب عملية استشهادية؟ فأجاب: والله هذه أمنيّتي، قلت الآن، قال: الآن.

نشط " عقيل " في القسم الإعلامي فأخرج بعض الأشياء المهمة منها " غزوة الشيخ الأسير "، حيث كان هو المكلف بها أسألُ الله أن يجعل كلّ عمله في ميزان حسناته.

من أكثر ما يميز الحبيب الشهيد هو حرصه على إخوانه وحبّه لهم وحنانه عليهم، حتى إذا رآه الرائي لأول وهلة يظن فيه التّكلف، فإذا خالطه عرف أنّ الرّجل كأنّه أمُّ تُهَدِّدُ وليدها، إنّ مَرَضَ أَخٍ قَامَ عَلَى

خدمته طوال الليل، وإن حزن آخر من أي شيء سواء أكان السبب من عقيل " ولا أذكر أنه أساء لأحد قط " أو من غيره أسرع إلى تهدئة الخواطر وجمع الشمل وتحبيب كل طرف في الآخر إلى حد أنه قد يبكي إذا رأى بين اثنين شيئاً.

كان عقيل بالنسبة لي ولدٌ بمعنى الكلمة، أطلب منه وأمره تماماً كما يفعل الأب مع ابنه، لا أخرج في شيء قط، كما أنه كان يناديني بالأب ويقبل رأسي إذا رأيته. كنتُ أحبّه حباً عجبياً وأخاف أن أفقده يوماً، وكذلك حدثني شيخ الرافدين المعتز بالله أبو مصعب " رحمه الله " أنه يخاف أن يفقد عقيل ويتمنى من الله أن يُرزق الشهادة قبل عقيل، ولما وصل الخبر إليه حدثني هو قائلاً: أتعرف يا صاحبي أنه من كثرة الشهداء أصبح المرء لا يشعر بالمرارة إلا أن استشهاد عقيل أدمى قلبي وعيني وأبكاني من جدّ، والحق أن ذهاب عقيل أبكى جميع من يعرفه، وكيف لا وهو الأب والأخ والابن، فأنت حتماً معه أحد هؤلاء.

كان عقيل وافر العقل، صاحب رأي وحكمة، لم يُعهد عليه قط غصبة على إخوانه، ويستشير الصغار والكبار وفي كل شيء، في الإعلام وفي الإدارة وفي العسكرية، كان قريباً من الجميع حبباً حنوناً بكل المقاييس.

لم يمكث مع زوجته العروس أكثر من عشرين يوماً ثم استدعي لعمل إعلامي مهم، فجاء كعادته يركض والفرحة ملئ عيونه، وانخرط مع أخيه الشهيد " عبد الإله " في هذا العمل واتخذوا من بيت آمن مقراً مؤقتاً لعملهم هذا، وجلسوا فيه يومين وفي اليوم الثالث حدث إنزال مفاجيء عليهم، إلا أن البطلين أخذوا بسرعة ما معهم من مادة إعلامية مهمة ووضعوها على أحزمتهم الناسفة ثم أسرع عقيل إلى سطح المنزل وعبد الإله إلى البستان، وقبل أن يهبط أعداء الله من طائراتهم أمطروهم بوابل من الرصاص حتى أن عقيل أفرغ جميع ما معه من طلقات حيث كان يحمل بندقية أمريكية M16، وقد وجدت جميع مخازنه " التي كانت بجوزته " فارغة، وعددها اثنا عشرة مخزناً، وكذلك فعل عبد الإله.

ثم تقدّم عبد الإله وكان يحمل حزاماً ناسفاً كبيراً واقتحم على العدو وفجر نفسه في وسطهم. بينما انتظر عقيل واختبأ داخل المنزل إلى أن دخل عليه أعداء الله ففجر نفسه في وسطهم.

فجمع العدو أشلائه وانسحب مسرعاً بعدما قصّف المنزل، وقد اعترف بخمسة من القتلى في صفوفه وجرح نحو عشرين علجاً أمريكياً، فالحمد لله على النكاية فيهم، والحمد لله على شهادة الحبيين، أسأل

الله أن ي خلفنا في عقيل خيراً وألا يحرمنّا أجره ولا يفتنّا بعده وأن يجمعنا به في جنات عدنٍ عند ملكٍ مقتدر، أمين.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر

